تفريغ

حالنا مع القرآن

للشيخ:

حمد الحميدي

البُشريات

1437هـ - 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم **تفريغ**

حالنا مع القرآن

للشيخ/ حمد الحميدي (رحمه الله)

مجموعة البُشْرَيات
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

أمة القرآن: سمعنا القرآن وقرأنا كتاب الله، وقد بيّن ربنا -جل وعلا- بأنّ هذا القرآن هدى، ولكن هذا القرآن هدى لمن؟

قال -جل وعلا-: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[1]؛ لأهل التقوى والفلاح، لمن يلتمس مراضي الرب -جلّ وعلا-، ولذا أنزل الله –عز وجلّ- خير كتاب بواسطة خير ملك على خير رسول على خير أمّة على خير لغة، لماذا؟

[1] **سورة البقرة، الآية: 1-2.**

لكي يعملوا بالقرآن، {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[2]، وقال -جلّ وعلا-: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[3].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث طارق بن أسلم –رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (والقرآن حُجَّة لك أو عليك).

كم من قارئٍ للقرآن وهو في الدرك الأسفل من النار!؛ في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (وَمَثَلُ الـمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ).

وكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنُه، لم يقُم بالقرآن، ولذا لعن اللهُ الظالمين ولعن الكاذبين ولعن أمورًا عظيمة، فتدبَّروا القرآن يا عباد الله.

عباد الله تدبروه تسعدوا في الدنيا والآخرة، كم من قارئ للقرآن وهو أول من تُسعَّر به النار يوم القيامة؛ أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (أوّل من تسعّرُ فيهم النار ثلاثة..) ثم ذكر منهم: (رجل قرأ القرآن وعلمه ثم عرّفه الله نعمه فعرفها)، فحينما يُعرَّفُ نعم الله يقول: (يا رب قرأت فيك القرآن وتعلمته وعلّمته) ثم يقال: (كذبت قرأت القرآن ليقال قارئ وقد قيل، خذوه على وجهه إلى النار).

فالمراد العمل بالقرآن يا أمّة القرآن، كم من عالم بالقرآن وقارئ للقرآن ولكنه -ولا حول ولا قوة إلا بالله- حينما لا يعمل بالقرآن يكون وبالًا عليه.

ولذا ذكر الله -عز وجلّ- عن أحبار بني إسرائيل عندما لم يعملوا بكتبهم، قال الله -عز وجل-: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}[4].

ولذا بين النبي ﷺ هذا الأمر بيانًا كافيًا بأنّك لابدّ أن تعمل بهذا القرآن، ولذا يُغبط صاحب القرآن الذي يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، كما جاء ذلك في الصحيحين عن النبي المختار ﷺ.

---

[2] **سورة محمد، الآية: 24.**
[3] **سورة النساء، الآية: 82.**
[4] **سورة الجمعة، الآية: 5.**

وعندما ذكر الله -عز وجل- قصصًا عن بني إسرائيل وغيرهم، حينما ذكر الله قصة: {الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا}، ولكنه لم يعمل فانظر ماذا حدث له: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ}[5].

أخلد إلى الأرض؛ إلى المنصب، إلى الجاه، إلى الملك، إلى الدينار والدرهم، ثم حصل له ما حصل.

ولذا جاء في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنه- أن النبي قال: (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن الـمنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الـمنكر وآتيه)، عياذًا بالله من هذا الصنف.

قرأنا القرآن وسمعناه؛ انظروا واقعنا اليوم مع القرآن؛ قرأنا قول الله -عز وجل- في محكم التنزيل وسمعنا كلام ربّ العالمين حينما قال -جلّ وعلا-: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[6]؛ هل حقّقنا الكفر بالطاغوت والإيمان بالله يا عباد الله الذي هو دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم؟

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[7]، أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن النبي قال: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم دمه وماله وحسابه على الله -عز وجل-).

أين الكفر بالطاغوت يا عباد الله؟

كم منّا اليوم مَن يوالي الطاغوت ومَن يوالي الكفرة الفجرة وهو يعلم أن من يوالي الكفار فهو كافر مثلهم، قال الله -عز وجل- في محكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[8].

---

[5] **سورة الأعراف، الآية: 175**
[6] **سورة البقرة، الآية: 256.**
[7] **سورة النحل، الآية: 36.**
[8] **سورة المائدة، الآية: 51.**

الله حكم عليه من فوق سبع سموات بقرآن يُتلى إلى يوم القيامة، {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، ولذا قال حذيفة –رضي الله عنه- فيما أخرجه عبد بن حميد، وقال ذلك عبد الله بن عتبة فيما أخرجه ابن أبي حاتم: "ليتَّقي أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر"، عند هذه الآية.

ولذا قال الإمام حمد بن عتيق –رحمه الله-: "من تولى اليهود فهو يهوديّ ومن تولى النصارى صار نصرانيًا"، ومع ذلك وكأن الأمر أمر سهل، ولا حول ولا قوة إلا بالله!.

إذًا من يتولى الكافرين وهو يدّعي بأنه من أهل الإسلام فهو رجل قد انغمس بالنفاق، ولذا ذكره ربنا -جل وعلا- برسالة فيها توبيخ وذلة وخزي في الدنيا والآخر، {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}؛ من هم؟ ما وصفهم؟ ما نعتهم؟ {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}[9]

فهل الكافر يملك العزة لنفسه فضلًا عن غيره؟ لا والله، بل الكافر له الذلة والصغار والخفّة والخزي في الدنيا والآخرة، {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}؛ العزة لمن؟ للعزيز، والقوة لمن؟ للقوي -عزّ وجلّ -.

ولذا كثيرًا ما يقرن بين القوة والعزة ربنا -جلّ وعلا-، كما بيَّن ربنا -جل وعلا- في محكم التنزيل: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}[10].

ولذا يا عباد الله؛ وصف الله -عز وجل- هذا الصنف الذي يتولى الكفار، قال -جل وعلا-: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}؛ يذهب الـمُلك والمنصب والجاه، قال -جلّ وعلا-: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}[11].

هذا أمر، وهذه مسألة عظيمة وهي الولاء والبراء يا عباد الله، حتى لو كان أقرب الناس إليك فليس عندك إيمان بالله ولا باليوم الآخر حتى تُعادي أقرب الناس إليك إذا كان مُحادًا لله ورسوله: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

---

[9] سورة النساء، الآيات: 138-139.
[10] سورة المجادلة، الآيات: 20-21.
[11] سورة المائدة، الآية: 52.

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}[12].

وقال -جل وعلا-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[13].

وهذه ملة إبراهيم -عليه السلام- الذي أمر الله -عز وجل- نبيه ﷺ باتباعها، ومن أعرض عنها فقد سفه نفسه؛ {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}[14].

ولذا ننظر إلى شيء من صور هذا الأمر عند صحابة النبي ﷺ؛ جاء في صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ حينما استشار أبا بكر -رضي الله عنه- في الأسرى؛ قال أبو بكر: (يؤخذ منهم الفدى)، قال: فاستشار عمر -رضي الله عنه-؛ قال عمر: (يا رسول الله أرى أن تُمكِّن حمزة من أخيه العباس، وتمكن عليًا من أخيه عقيل، وتمكنني من فلان -قريب لعمر-، ثم نجمع رؤسهم لكي يعلموا أنّه ليس في ديننا هوادة).

ليس في ديننا هوادة، ليس في ديننا تنازل للكفار لأن الكافر شر الخلق والخليفة، ليس له موطن في الأرض ولا كرامة، ومنْ يُهِن الله فما له من مُكرِم، إذًا لماذا نعزّهم؟ لماذا نرفعهم؟ لماذا نقربهم؟ وقد أمرنا ربنا -جل وعلا- بإقصائهم وعداوتهم وببغضائهم.

ولذا أعظم وصفٍ وَصَفَ به ربُّنا تعالى نبيه محمد ﷺ وأصحابه؛ {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[15].

ولذا قال الله -جل وعلا-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[16].

وقال الله -جلّ وعلا-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي

---

[12] **سورة المجادلة، الآية: 22.**
[13] **سورة التوبة، الآية: 23.**
[14] **سورة الممتحنة، الآية: 4.**
[15] **سورة الفتح، الآية: 29.**
[16] **سورة التوبة، الآية: 123.**

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[17].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام واضطروهم إلى أضيق الطرق).

هذا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بين أيدينا، فلماذا يا عباد الله نخالف ذلك ونحن نقرأ القرآن ونسمعه؟

أيضًا يا عباد الله ننظر إلى الأمر الذي أمر الله -عز وجل- بطاعته وطاعة رسوله ﷺ؛ ومع ذلك كثير من الناس اليوم يعظّم طاعة المخلوق ونظامه وأمره على طاعة الله ورسوله.

قال الله -عز وجل- في محكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}[18].

ولذا قال –جلّ وعلا- مبينًا مصير من قدم طاعة المخلوق على طاعة الله ورسوله: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}[19].

وعيدٌ عظيم وتهديد شديد من رب العالمين، ولكن أين من يعقل ويتدبر القرآن؟

فتدبّر القرآن يا عبد الله لكي تفلح وتسعد في الدنيا والآخرة.

أيضًا يا عباد الله وقفة أخرى مع القرآن؛ القرآن يأمرنا بل كَتَب الله -عز وجل- علينا هذا القتال وهو قتال الكفار، {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ}؛ مَن كتبه؟ فلان من الناس؟ لا بل كتبه رب العالمين، لأنه لا عزة للمؤمن ولا كرامة للمؤمن ولا بقاء للإسلام ولا بقاء للشريعة المحمّدية إلا برفع راية الجهاد وقتال الكفار، وإذا تعطّلت الحدود وأُزيل شرع الله واستُهين بالقرآن، ويسبّ الله ويسب رسوله بسبب ماذا؟

---

[17] **سورة المائدة، الآية: 54.**
[18] **سورة الأنفال، الآيات: 20-23.**
[19] **سورة الأحزاب، الآيات: 66-68.**

بسبب عدم رفع راية الجهاد، والله لو رُفعت راية الجهاد لبقي الدين عزيزًا ونحن أعزاء، وديننا ولله الحمد عزيز ولكن نحن الذي أصابتنا الذلّة حينما ركنّا إلى الدنيا وتركنا قتال الكفار.

وربما يتصوّر العبد بأنه ليس عنده عدة وعتاد، فربك –جل وعلا- أمرك بما تستطيع، بأي شيء تستطيعه به قتال الكفار فقاتل به، قال -جلّ وعلا-: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}، أيًا كانت تلك القوة ولو كانت مجرّد الإيمان، بقوة الإيمان تنتصر أنت على الكفّار، ذكر ذلك رب العالمين حينما ذكر سورة الأحزاب وما وقع للنبي وأصحابه.

محمد ومن معه في الخندق، لا يستطيع أحدهم من شدة الخوف أن يقضي حاجته خارج الخندق، ثم جاء نصر الله حينما قال -جل وعلا-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}[20]، جاء نصر الله بقوة الإيمان والثبات.

أيضًا حتى لو لم تملك من القوة إلا الحصى فإنك تنتصر على الكفار، كيف ذلك؟ جاء ذلك عن النبي المختار في بدر ماذا فعل ؟

أخذ شيئًا من الحصى ثم رمى وجوه الكفار وقال: (شاهت الوجوه)، ثم ولَّوا مدبرين بحصى رسول الله .

وأيضًا بالعصا لوحدها تنتصر أيها المسلم، وهذا موسى -عليه السلام- نصره الله بالعصا؛ {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى}[21] فنصره الله بالعصا.

قد يقول قائل هؤلاء أنبياء ورسل، نقول الله تعالى تكفّل بنصر الرسل والمؤمنين، {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[22].

كلام ربنا ألا نؤمن به؟!

قد تكفّل بنصرنا ولكن لمن؟ {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[23].

---

[20] **سورة الأحزاب، الآية: 9.**
[21] **سورة طه، الآية: 68.**
[22] **سورة غافر، الآية: 51.**
[23] **سورة الحج، الآية: 40.**

الله أكبر يا عباد الله! مهما هدّد الكافر بقوته فإن القوة لله جميعًا، والأمر أمره، والخلق خلق، والملك ملكه، يدبر الأمر كيف شاء، {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}[24].

إذا كان الأمر لله من قبل ومن بعد فلماذا نغتر بقوة الكفار وقد بيَّن -جل وعلا- بأنهم ليسوا شيئًا؟

اقرأ وتدبّر كلام ربّك: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[25].

ولذا قال -جلّ وعلا-: {وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ}[26].

إذا كان الأمر هكذا؛ فلماذا نُرعَب من عدونا؟

أين الصدق في اللجوء إلى الله والتوكل عليه؟

كم هدَّد المهدِّدون للقضاء على الإسلام؟ فرعون زعم بأنه رب، وحينما زعم أنه رب أمر بقتل أبناء رجال بني إسرائيل واستحياء نسائهم، تصوّر بأنّه صار الأمر إليه، ما علم هذا الفرعون أن الذي يُعزّ الله تعالى به الدين ويقضي على فرعون وملكه؛ هو من يعيش في بيت فرعون.

من يعيش في بيت فرعون يُخرجه الله ليقضي على فرعون ومُلكه والكفر كله، هل تصوَّروا بأن أحدًا سيأتي إلى بيوتهم ويُفسد عليهم بيوتهم؟ لا والله، بل قالوا: قرة عين لنا، ما علموا أنه عدو وحزن، ثم أخرجه الله من بيت فرعون.

وهكذا يُهدّد المهدّدون كما يهدّد (بوش) وغيره ومجلس (الكونجرس) وغيره، لكن يهدّدون من؟

يهدّدون أسامة بن لادن والملا عمر؛ "سنقضي عليهم خلال 46 ساعة"، يا سبحان الله! هل الأمور بأيديكم؟ والله لا ترفعوا عن أنفسكم ضرًا ولا تجلبوا لأنفسكم نفعًا؛ فكيف بغيركم؟

---

[24] **سورة الروم، الآية: 4.**
[25] **سورة النساء، الآية: 76.**
[26] **سورة التوبة، الآية: 2.**

ولذا مجرد تهديد وكلام من أسامة خلال دقيقة؛ من أكبر دول العالم قوة وعتادًا تستنفر جيشها وقوتها، مجرّد كلام، أين قوتك يا بوش ومن معك والعدة التي معك؟ إنها لا تساوي شيئًا عند قوة الله.

ولذا يا عباد الله؛ حتى لو مات أسامة -ونسأل المولى جل وعلا أن يرزقنا وإياه الشهادة بعد نصرة للإسلام والمسلمين وإغاظة للكافرين-؛ والله حتى لو مات أو قُتل والله لا يهنأون بملكهم، والله نذكرهم بأسامة حتى بعد موته، كما كان يعيش الحجّاج بعد قتل سعيد بن جبير، كان كل ليلة يأتي ويقول: "قتلني سعيد قتلني سعيد".

إذًا يا عباد الله؛ الله الله في التعلق بالله، انظروا ماذا قال هود -عليه السلام- يخاطب من على الأرض كلهم جميعًا، اسمعوا وتمعنوا كلام ربنا: {إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[27].

أمّا الذي لا يملك ناصيته كيف يُخافُ منه؟

{وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ}[28].

ولذا نسمع كثيرًا قول النبي لابن عباس، حينما قال له النبي : (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الكتب).

وبعد كل صلاة نقول: (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد)، ونقول في كل ركعة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ}.

إذًا يا عباد الله؛ الله الله في عدم النظر إلى قوة الكفّار وما عندهم من العدّة والعتاد، فإنّ الذي خلقهم وخلق عدَّتهم هو الله الذي يقول للشيء كن فيكون، كل يوم هو في شأن.

---

[27] سورة هود، الآيات: 55-56.
[28] سورة غافر، الآية: 20.

وإذًا يا عباد الله علينا ماذا؟ علينا أولًا الاستعداد بقوة الإيمان، ثم الاستعداد بقوة العدة والعتاد، ولذا حينما قال الله -عز وجل-: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}[29]، جاء في (صحيح الإمام مسلم) أن النبي قال: (ألا إنّ القوة الرمي).

وجاء في (صحيح البخاري) من حديث سلمة بن الاكوع -رضي الله عنه- أن النبي مرّ على أناس يَستَهِمُون فقال: (ارموا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان راميًا).

في الصحيحين من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: (سابق رسول الله بين الخيل المضمرة والخيل التي لم تضمر).

قال أبو حذيفة فيما رواه مسلم في صحيحه عندما سئل: (هل غزوت مع رسول الله غزوة بدر؟)، قال: (لا، كنت صغيرًا وكنت أصلح النبل)[30].

إذًا يا عباد الله؛ الله الله في الإعداد، ثم استعينوا بالله فعدوُّنا متربِّص الآن بنا، والله عجب؛ تتعجب كل العجب؛ كيف العدو قد ملأ الخلجان والمحيطات، وملأ اليابس والبحر، ثم نحن نستعد بالمهرجانات والغناء!، أهذه أمة تعقل؟ أهذه أمة تعي؟ أهذه أمة تفكر؟ والله لو لم يكن فيها دين لمنعها عقلها من ذلك، ولكن المشتكى إلى الله..

إذًا يا عباد الله؛ الله الله في قتال الكفار، ولذا قال الله -عز وجل-: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وجدتموهم}[31]، وقال الله -عز وجل- في محكم التنزيل: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ}[32].

ولذا قال النبي : (من لم يغزو لم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق).

والله ليس لنا كرامة إلا بالجهاد، ففي الصحيحين من حديث أنس –رضي الله عنه- حينما ذكر النبي الذي يُقتل في سبيل الله يتمنّى أن يعود للدنيا حتى يُقتل عشرة مرات لما يرى من الكرامة.

---

[29] **سورة الأنفال، الآية: 60.**

[30] **لم يكن هذا الأثر مسموع جيدًا بالنسبة لي وغير متأكد من نصه، وكذلك لم أجده في كتب الحديث لمراجعته، فكتبته كما اجتهدت في سماعه. [المفرغ].**

[31] **سورة التوبة، الآية: 5.**

[32] **سورة محمد، الآية: 4.**

وحياتنا أيضًا يا عباد الله بالجهاد، قال -جلّ وعلا- في محكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}[33]، قال عروة بن الزبير: "أي للحرب؛ فإن الله -تعالى عز وجل- أبدلنا بالحرب بعد الذلة عزًا وبعد الضعف قوةً".

وحتى لو مات فقد بين الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ}[34].

ننظر شيئًا من الواقع يا عباد الله؛ الواقع يشهد بذلك، انظروا يا عباد الله لأفغانستان، لها أكثر من ثلاثين سنة وهي تقاتل؛ من الشيوعيين حتى نهاية الصليبيين، ومع ذلك كم قُتل منهم؟ لم يتجاوز القتلى منهم مليونًا واحدًا.

وانظر إلى العراق عندما لم يرفعوا راية الجهاد خلال سنوات قليلة قُتل منهم من المجاعة وغيره من الحصار مليون وسبعمائة ألف.

إذًا الجهاد حياة لنا يا عباد الله، فالله الله بهذا الأمر لكي نُفلح ونسعد ونعز في الدنيا وفي الآخرة.

ولذا فهذا هو الواجب علينا فلا نتساهل فيه، فقتال الكفّار لابد أن يكون يا عباد الله، أمر ربنا ونبينا ﷺ بذلك وبيّن أن العزة بذلك، فإذا تخلينا عنه أذلّنا الله، كما هو الواقع اليوم حتى أن عدوّنا يتصرف في أمورنا الخاصّة، فماذا ننتظر؟

أننتظر أن أرحام نسائنا تمتلئ من بني الصليب؟

أننتظر بأن بني الصليب وعباد الصليب وشراب الخمر وأكلة الخنزير يلعبون بأعراضنا وبدمائنا ورقابنا وأموالنا؟

ماذا ننتظر؟!

والله ثم والله لبطنُ الأرض خيرٌ لنا من ظهرها، فلا كرامة لنا -يا عباد الله- إلا بالعودة إلى الله ورفع راية الجهاد.

---

[33] **سورة الأنفال، الآية: 24.**

[34] **سورة آل عمران، الآية: 169.**

أمن المعقول أنّ أعظم جريمة في العالم اليوم أن تكون مجاهدًا!؟ أعظم جريمة؛ جريمة لا تغتفر، تُستحل المحارم وتُستحل البيوت بسبب أنك مجاهد!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أخرج البخاري في صحيحه؛ عندما أخرج النبي عمر لأخذ أموال الصدقة منعها ثلاثة؛ العباس وابن جميل وخالد، فماذا قال النبي في خالد -رضي الله عنه-: (أما خالد فإنّكم تظلمون خالدًا فقد احتبس أعتاده وأدراعه في سبيل الله).

ولذا حينما بكت البواكي على سيف الله المسلول خالد بن الوليد -رضي الله عنه- قيل لعمر إن النساء تبكي وتتنعنع، فقال: "لتبكي على أبي سليمان البواكي".

أمّة تربت على الجهاد والعزّة، في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: "كنت يوم بدر، كان عن يميني فتى وعن يساري فتى، فقال الذي عن يميني: يا عم أين أبو جهل؟ قال: وماذا تريد من أبي جهل؟ قال: إنّي سمعت أنه يسب رسول الله والله لو رأت عيني عينه ما تركته حتى أقتله أو أقتل دونه"..

فتى، لكنه لم يتربَّ على الفضائيات والتلفاز، ولم يتربَّ على الكرة، ولم يتربَّ على التعايش مع الكفار ولا على طلب السِّلم معهم، ولم يتربَّ على الانهزامية، وإنما تربَّى على نصرة الإسلام ولو كان على حساب دمه. فجماجمنا رخيصة في سبيل ديننا، ودماؤنا إذا لم تذهب لله فلا خير فينا.

ثم قال من على يساره: "يا عمّ أين أبو جهل؟ قال: وماذا تريد منه؟ قال: إني سمعت أنه يسب رسول الله.."؛ هؤلاء الفتية لم يتهنّأوا بعيشٍ على أرض وفيها من يسب رسول الله ، ورسول الله يُسب بين أيدينا!!.

ولذا قال: "إني سمعت أنه يسب رسول الله ، والله لو رأت عيني عينه ما تركته حتى أقتله أو أقتل دونه. فما إن مكثتُ قليلًا إلا وقلت هذا صاحبكم هذا أبو جهل، فانطلقا مثل الصقرين، فتعاهداه بسيفهما حتى برد".

من الذي ربّاهم؟ ربّاهم القرآن الذي يقرأونه، والقرآن الذي يسمعونه، ولكن أين تلك القلوب؟

إذًا يا عباد الله؛ الله الله، وثِقُوا بنصر الله، والله ثم والله لو لم يبقَ إلا مسلم على وجه الأرض ليَنصُرُه الله، رضي من رضي وسخط من سخط.

في الصحيحين أنه النبي قال: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك).

حتى لو هدّد مجلس الكونجرس خلال تسعين يومًا كما هدّد فرعون: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى}[35]، ومن الذي قال لك لا تقتل موسى؟ أتستطيع على قتل موسى الذي يقتلك أنت وجندك وعدتك وعتادك؟ ولذا عندما قالوا له {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} قال: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}[36].

ولذا هذا الأمر لابد أن نعيشه يا أمة الإسلام، فالله الله في إحياء هذه الشعيرة التي أُميتت ولا يُميتها إلا أهل النفاق ولكنهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلًا، يقولون: "هذا ليس جهادًا الذي في أفغانستان ولا الذي في الشيشان"، وقالوا مثل ما قال المنافقون للنبي ، قالوا: {قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ}[37]؛ أي يا محمد هذا ليس جهادًا، كحال من يقول اليوم هذا ليس جهادًا.

ولكن أبى الله إلا أن يُظْهِر دينه رغم أنوف الكفار والمنافقين، ولذا قال الله -جل وعلا-: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}[38].

ولذا قال إبراهيم –عليه السلام- حينما هدّده قومه: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[39]؛ كيف تأمن وأنت كافر بالله؟! أنت الآن تجرّأت على الرب -جلّ وعلا- وعبدت الصليب، فكيف أخافك وأنت لم تخف من الله؟

إذًا يا عباد الله؛ الله الله في العودة إلى كتاب الله وسنة النبي .

وقفة أخرى مع القرآن؛ انظروا يا عباد الله ماذا قال ربنا –جل وعلا- في كتابه، أمرنا ربنا جلّ وعلا بأن تكون نسائنا لهن ماذا؟

---

[35] **سورة غافر، الآية: 26.**
[36] **سورة الشعراء، الآية: 62.**
[37] **سورة آل عمران، الآية: 167.**
[38] **سورة الفتح، الآية: 22-23.**
[39] **سورة الأنعام، الآية: 81-82.**

بأن تكون لهن المكانة العظمى والمكان الرفيع الذي فيه حفظها ورعايتها وشرفها وعزها ودينها، فقال لها ربّنا: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}[40]، وقال -جل وعلا-: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[41].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما- أن النبي قال: (والمرأة راعية في بيت زوجها وولده ومسؤولة عن رعيته) في بيت زوجها وليس في وظيفتها ولا في مدرستها ولا في معملها.

أيتها الأخت المسلمة أنتِ الأمُّ المربية، وأنتِ خليفة صحابة رسول الله ، قالت أم حارثة كما جاء في (صحيح البخاري) وغيره حينما قُتل -رضي الله عنه-، قالت: (يا رسول الله أين حارثة؟ إن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك تعلم ماذا أصنع)، فقال النبي : (أَهَبِلتِ؟ إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى). هذه أم حارثة فاقتدي بها يا أَمَة الإسلام.

نعم يا عباد الله؛ أيتها الأخت المسلمة لا تغتَّري بالأبواق الناعقة، ولا بالكلاب المسعورة التي تدعوك للخروج والاختلاط والفساد، فقد رفع الله من شأنك فلا تُذلّي نفسك لهم.

ولذا خصّك الله ورسوله بأمور عظيمة فتدبّري القرآن تجديها، ولذا أخصّ الناس بصبحته حينما سُئل : (من أحق الناس بصحبتي يا رسول الله؟)، فقال: (أمك)، قال: (ثم من؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم من؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم من؟)، قال (أبوك).

ولذا قال النبي : (الزمها فإن الجنة تحت قدميها).

أخرج البخاري في (الأدب المفرد) أن رجلًا جاء لابن عباس -رضي الله عنهما- فقال: (إني قتلت نفسًا فما تأمرني؟)، قال: (هل لك من أم؟)، قال: (لا) قال: (إذًا فاعمل الصالحات)، قال الراوي عن ابن عباس: (لما سألته عن أمه؟) قال: (لأني لا أجد عملًا أفضل من البرّ بالأمّ) يكفر هذه الجريمة الشنعاء.

---

[40] **سورة الأحزاب، الآية: 33.**
[41] **سورة الأحزاب، الآية: 59.**

إذًا يا أمة الإسلام: ارفعي من شأنك، وربي أبناءك على كتاب الله وسنة النبي وقتال الكفار ومعاداتهم وموالاة المسلمين ونصرتهم.

وأما خروجك فقد دلت النصوص أن هذا مخالف لشرع ربّك، ولذا قالت عائشة -رضي الله عنها- كما في الصحيحين: (لو أدرك رسول الله ما أحدث النساء لمنعهنّ الخروج كما مُنعت نساء بني إسرائيل).

ولذا قال ابن خزيمة –رحمه الله- كما في كتابه (التوحيد) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: (إِذَا لَبِسَتِ الْمَرْأَةُ ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ قِيلَ: أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟ فَتَقُولُ: أَعُودُ مَرِيضًا، أَوْ أُصَلِّي عَلَى جِنَازَةٍ، أَوْ أُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ، فَقِيلَ: وَمَا تُرِيدِينَ بِذَلِكَ؟ فَتَقُولُ: وَجْهَ اللَّهِ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ: مَا الْتَمَسَتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَ اللَّهِ بِمِثْلِ أَنْ تَقِرَّ فِي بَيْتِهَا وَتَعْبُدَ رَبَّهَا).

فالله الله يا عباد الله بهذا الأمر، وأختم هذه الكلمة عن الاستقامة على هذا الدين، فيا عباد الله؛ الله الله بالاستقامة على الدين، والله لا ينفعُ العبد إلا إذا استقام على دين الرب، {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[42].

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[43].

نسأل المولى -جل وعلا- أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، والحذر يا عباد الله أن يكون رمضان لا نعرف ربنا إلا فيه، فإذا خرج رمضان فلا نعرف الله، من كان يعبد رمضان فإن رمضان عمّا قليل سيرتحل، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

فالله الله يا عباد الله بما ينفعنا ويقربنا من الله.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين...

[انقطاع الصوت]..

---

[42] **سورة الحجر، الآية: 99.**
[43] **سورة فصلت، الآية: 30.**